كوجيتو المحكي في الرواية العربية
(أنا أسرد إذن أنا موجود)

ط.د.حنان حطاب

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

h.hattab@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام:..../...../..... تاريخ القبول:..../...../.....

الملخص:

تضطلع هذه المقاربة التأويلية بالكشف عن الرهان المعرفي /الثقافي الذي تتطلع إليه الرواية العربية من خلال انفتاحها على مختلف العلوم الإنسانية والمعارف والمناهج مابعد الحداثية التي رسمت ملامح تجربة سردية مغايرة تنفتح على آفاق قرائية متعددة.

عطفا على ما ذُكر، يتوخى هذا البحث استنطاق النصوص السّردية التي شكلت كتاباتها تحولا معرفيا كونيا يرمم الذات ويجيب عن أسئلة الهوية ،حيث غدت الكتابة تأسيسا فعليا للوجود والكينونة وتحولت من مجرد متعة قرائية إلى مقاومة للزوال والتلاشي ووسيلة للخلود. ذلك أن الذات الساردة/ الفاعلة تكتب وتقرأ وتتأول من أجل أن تحيا وتتواجد وتؤسس للكينونة الأبدية، فأنا أسرد إذن أنا أحيا.

الكلمات المفتاحية: الكوجيتو –المقاربة التأويلية- النصوص السردية.

ABSTRACT:

This interpretative approach conducts to reveal the cognitive/cultural stake that the Arabic novel aspires through its openness to various human sciences، knowledge، and postmodern approaches which set out the features of a different narrative experience that opens up to multiple reading horizons.

Further to what was mentioned، this research endeavours to interrogate the narrative texts whose writings constituted a cosmic cognitive transformation that restores the self and answers the questions of identity. As writing became an actual foundation for existence and being ،it also turned from a mere reading pleasure to a resistance to demise and fading and a means to eternity. This is because the narrator/active self writes، reads، and interprets in order to live، exist، and establish the eternal being.

Keywords: Cogito- interpretative approach- narrative texts

المقدمة:

عبر مسالك النص تتكشف الذوات وتتعرى تاركة للقارئ لذة استكناهها فهما ومساءلة، حيث يبلغ الخطاب حد التكشف عبر أسيقته المشفرة ،ودلالاته المضمرة .

ولما كانت الذات نصا مؤثثا يروم البحث في أبجديات العالم والوجود ،كان لزاما عليها ولوج عوالم السرد فهما ومساءلة ،ذلك أن السرد يرتسم فعلا كتابيا عبر لحظات السرد وأبعاده المختلفة، كما أن الخطاب مضمر لا تتضح معالمه ولا تتكشف مسالكه إلا عبر التأويل الذي يلامس اللاّممكن والمستحيل ويرتحل به إلى عوالم المجهول. ومن ثم، ينطلق القارئ في محاولة تبني تأويلات مغايرة لمنطوقات النص "فعالم النص الروائي، إذن، هو مرجع الخيال، ومرتكز القوس التأويلي، وموئل شتى الإمكانات والتجارب والاحتمالات الضامرة في الوجود، الحاملة لتصوير جديد في الإدراك والتدبر والعيش"1 .

كما أن النص هو "نسيج فضاءات بيضاء، وفرجات ينبغي ملؤها، ومن يبثه يتكهن بأنها سوف تملأ، فيتركها بيضاء لسببين: الأول ،وهو أن النص يمثل آلية كسولة (أو مقتصدة)تحيا من قيمة المعنى الزائدة التي يكون المتلقي قد أدخلها إلى النص، والحق أنّ النص لا يوسم باللغو ولا يكتسب تعيينات لاحقة إلا في حال بلوغه ذروة الحذلقة وذروة الاهتمام التعليمي، أو في حالة من الكبت قصوى، إلى الحد الذي تنتهك فيه القواعد التحادثية المألوفة"2 وعلى هذا الأساس ينخرط خطاب الذات في منعرج تأويلي، يؤثث للبوح والكشف والمساءلة.

أولا : مآزق الذات الطارقية

ضمن هذا الفهم، تتموضع الكتابة بوصفها رحلة بحث عن الذات والهوية، وهي من أجل هذا، تطرق سبلا مختلفة وترتحل عبر ممرات متشعبة تصل- في النهاية- من خلالها إلى عوالم جديدة في الكتابة التجريبية، مستغلة بذاك مختلف التقنيات الكتابية ومستثمرة التاريخ الأدبي العربي والعالمي، و تمتد طويلا عبر مئات الصفحات وعديد الأحداث والشخصيات من أجل أن تحقق الاختلاف. فإذا كانت الكتابة "... هي الحاسة التي توقظ أشياءنا الدفينة الرائعة، وربما تذكرنا أيضا بوحشيتنا المقيتة، وبأدفأ نقطة فينا أيضا" 3 فحري بنا أن نتساءل عن الكيفية التي تقربنا من حميمية النصوص، كيف، إذن، نقارب سحر اللغة وفتنة الكتابة، كيف نلج مضمر الخطاب ومخبأ القصد، كيف نقارب اللاممكن في النص ونضيع في أبعاده اللامتناهية، توصيفا، قراءة، وتأويلا.. كيف نسكن النص لنتجاوز الممكن ونبلغ المستحيل، كيف نقارب اللغة ونغوص في متاهاتها ومسالكها فتستحيل كائنا ناطقا وذاتا فاعلة. كيف نجسد البراديغم الأفلاطوني: "ليس يحيا إنسانا ،من لايسأل نفسه عن نفسه"4.

ولما كانت الرواية أهم الفنون السردية وأبرز مكون للهوية ،وأهم نسق تعبيري يكشف عمق التجربة الإنسانية ،كان لزاما أن نتيح للتأويل فرصة الحصول على مدركات جديدة لمساءلات الوجود والهوية، حيث طالعتنا رواية"من أنت أيها الملاك"5 لإبراهيم الكوني، لتحاول الإجابة عن سؤال: كيف للخطاب أن يتأول حكيا وكتابة؟

اللافت أن هذا الخطاب شكل مقاما للبوح عن ذات مشتتة مهزوزة تبكي فقدان هويتها، إذ تبحث الرواية عن هوية الإنسان الطارقي (الرجل الأزرق)، لتدق ناقوس الخطر حول موضوع معتم، وهو هوية الأقليات الصحراوية التي طمست تحت وطأة الهوية القومية، إذ تذوب هوية الأقلية ضمن نسق عام هو الدولة والوطن "ولما كان العصر الذي نحيا فيه هو عصر الأمم والقوميات، فإن الهوية العصرية هي وبامتياز الهوية القومية"6.

هكذا إذن ينطلق هذا الخطاب السردي في الكشف عن محنة "الهوية الطارقية " لتستثمر الرواية في الدفاع عن أناها وهويتها وانتمائها من خلال قضية شخصية "مسي بسا بن مسي نسن" وتتأزم عقدة الطارقي في بحثه عن هوية وليده ،عبر رحلة حصوله على اسم في سجل الحالة المدنية.

"وضع" مسي " شهادة الولادة أمام موظف السجل المدني وقال: يوجرتن
-حدجه الموظف باستفهام، فأضاف:
يوجرتن، اسم المولود يوجرتن؟
-انحنى موظف السجل على القرطاس المتوج بشعار "مستشفى الولادة " قبل أن يستنتكر: يوجرتن ؟7

الجلي من هذه الحادثة المحورية، غرابة الاسم وعدم التعود عليه واستنكاره من طرف موظف السجل المدني، وفي مقابل هذا اتخذ الأمر مع "مسي" جدية أكبر حيث يعبر الاسم الغريب عن هويته وكيانه بوصفه طارقيا/صحراويا/أقليا، إذ يحمل رمزية بطل طارقي و يعني بطل الأبطال أو كبير الأبطال.

وهذا التحقير، لاسم "يوجرتن" إنما يدل على التمييز والبيروقراطية التي تمارسها بعض المؤسسات ممثلة في موظفيها أو مسؤوليها، ممن ينظر للأقليات كفئة دونية تناضل من أجل الحصول على شهادة ولادة..شهادة هوية ..شهادة وجود وكينونة.

إنّ الهم الذي حمله مسي هو هم البحث عن هوية الطارقي المفقودة، وكيانه المطموس المهمش تحت سطوة التمدن والتحضر، هذا البحث الذي أسفر عن شخص مأزوم وضعيف ومنكسر ..لكنه مع ذلك يعبر عن ذات طارقية تسعى لتحقيق حضورها ووجودها في ظل سياسة التهميش والإقصاء، فلكل ذات هويتها وحضورها حتى وإن كانت أقلية، ولا مبرر لمركزية تسحق كينونة هذه الذوات /ذات الآخر/الطارقي.

تأسيسا على ماسبق، يسعى الكوني -ممثلا في شخصية مسي- للبحث عن هويته كتابة، عبر توثيق شهادة الميلاد والحضور والوجود والكينونة، إذ التعبير عن الهوية الشخصية تأسيس لهوية سردية تقوم على ميثاق "أنا أسرد إذن أنا موجود" .

يحاول نص "من أنت أيها الملاك " أن يصور رحلة رجل الصحراء الغريب في وطنه، المنسي بين أبناء جلدته، فحادثة اقصاء الاسم تعني إقصاء وجود إنسان يكافح من أجل تأكيد حضوره الفعلي ..ولهذا يؤكد ا الخطاب أنانية المجتمعات وقسوتها ورفعها لشعارات خادعة، حيث"يروق للهوس القومي أن يتخذ من خرافة الحرص على وحدة المجتمع ،ذريعة لقمع الآخر، ولايجد حرجا في أن يتمادى ترويجا لهذه الكذبة إلى أن ينتهي به المطاف إلى تشييد صرح "أحادية المجتمع " ليتحول إلى الشعار القومي بقدرة قادر إلى سعار قومي"8.

يسعى "مسي" لخلق هوية خاصة به، حتى وإن كانت مختلفة ،أو تعبر عن أقلية بسيطة، لأنها في النهاية هويته، تعبر عن ذاته وأصالته ووجوده، وتعكس تميزه واختلافيته، ولهذا شكلت رحلة الرجل الأزرق في بحثه عن هويته نوعا من التمرد والرفض لهذه الحالة من اللاهوية واللانتماء ،وكأن الطارقي هو رمز للامنتمي /المهاجر/المنفي /المفقود/الضائع /المغيب، ذلك "الإنسان الذي يدرك ماتنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس واه، والذي يشعر بأن الاضطراب والفوضوية هما أعمق تجذرا من النظام الذي يؤمن به قومه"9.

على هذا النحو يشكل "يوجرتن" محاولة للتأكيد على الهوية ضد التلاشي والنسيان، ذلك أن البحث عن الهوية قابع بين ثنايا المكان (الصحراء) وهواجس الذاكرة، وما مشكلة الاسم إلا رمزية مبطنة تبحث عن وجود وحق الأقلية العرقية في الانتماء،"وهو بهذا يريد تثبيت هوية شعب الصحراء الذي بات مضمحلا، بل ذائبا في ثنايا المدينة، وقد نسي هذا الشعب جذوره ،ونسي بصمة الأسلاف، ووصية الروح التي تشكل هوية حقيقية لهذا الشعب " 10

من هنا يصبح سؤال الذات في مسالك التأويل وتعرجات خطاب السرد كشفا عن المنطقة المظلمة فيها، " فتنطلق أل "الأنا" متحدثة عن رغباتها وأهوائها وتمثيلاتها الغريزية، وما تفتقده في الواقع، وتتحول الكتابة من مجرد سواد إلى بياض إلى نوع من الفلسفة في الحياة، ويتحول فعل الكتابة رغبة في بلورة الأسئلة التي تمنح للوجود معنًى حقيقيا، معنًى يحرر المبدع ويحرر معه القارئ والمتهم من احتمال التحول إلى مجرد قطيع.. فالذات حين تشعر بثقل العالم فوق كاهلها، تلجأ للكتابة، فيصير فعل الكتابة معادلا للنجاة، والمخرج الوحيد المضمون للانفلات من ثقل الروح المتعبة، فالكتابة تمكننا من مساءلة المجتمع وتسعى لخلخلة قيم استشرت بعنف فيه"11.

ثمة إذن، ذات، كتابة، تتخفى وراءها الخطابات، وتتغيا المكاشفة والبروز، ذلك أن الذات تحولت من كونها مجرد تعبير عن أدوار وأفعال وأصوات لشخصيات فاعلة وأبطال كما هو الحال مع مورفولوجيا الحكاية مع بروب وسيمياء غريماس وجينيت إلى ذات إشكالية في علاقاتها المتعددة، إذ "تصبح الذات في البعد التأويلي، حوارا، وتصبح الحقيقة مشاركة، ويثبت وضع الذات بقدر ما تفتح من حوارات مع الآخر، لأن اللغة تنبني على حوار وتفرضه في سياق الفهم، بوصفه انقذافا دائما، وبهذا يكون فن التأويل الوساطة الشاملة، من خلال الطابع البلاغي للغة، بين الذات ونفسها، الذات والآخر، الذات واللغة، وبين اللغة والأشياء"12.

هكذا، وعبر أنسجة السرد تتحول كتابات الكوني إلى وثيقة شرف تدافع عن هوية شعب آيل للزوال رغم مكابدته .وتتحول الرواية من خطاب للحكي إلى بؤر مسكونة بالتكثيف الرمزي والتدليل الاستعاري الحمال للهواجس والرؤى، فعبر كل الأفكار والمواقف والأحداث، تتشكل هوية النص مثلما تتشكل هوية الطارقي من منظور هذا النص لتحقق كوجيتو الحكي "أنا أسرد إذن أنا موجود" .

ثانيا: أوهام الهوية العربية

يتموقع الخطاب السردي ضمن التجربة الإنسانية الشاملة التي تشكل طريقة لفهم العالم واستشراف المستقبل، وفق لعبة اللغة و تكثيفات التخييل، ذلك أن السرد هو سرد للحياة وخوض في كل إشكالاتها وتعقيداتها دون التوجس من نهاياتها اللا مألوفة أو الممنوعة .

لذلك جاءت رواية "2084 العربي الأخير" لتكسر خطية الزمن وتضرب عرض الحائط تراتبيته وانتظامه، وتكسر معه كل أفق قرائي لمتلقيها، فهي تخوض في أحداث وتجارب لا ترتبط بالماضي والحاضر وحسب، بل إنها تستشرف المستقبل وترسم حدوده بكل سوداوية وجرأة.

تستحضر الرواية، حكاية عالم نووي أمريكي المنشأ عربي الأصول هو "آدم غريب" الذي درس في الولايات المتحدة الأمريكية، وتخصص في مجال الفيزياء النووية، حيث مارس نشاطه ضمن مخبر نووي في بلسنفانيا. وعمل على تطوير قنبلة نووية صغيرة (البوكيت بومب) لأغراض ردعية سلمية، وهذا ما جعله يتعرض للخطف في مطار "رواسي الدولي بباريس" من قبل مجموعة مجهولة إلى قلعة أميروبا(أمريكية-أوروبية) في أقاصي الربع الخالي، حيث يبدأ هناك حياة جديدة مع الجنرال مالكوم المدعو "ليتل بروز" هذا الرجل الدكتاتور المتسلط الذي "يرى الكل ولا أحد يراه، لا أحد يعرف وجهه إلا الصورة الوحيدة التي نشرها صحفي فرنسي كلفته غاليا"13 .

تبدو حياة آدم مألوفة إلى أن يحتجز في هذه القلعة المعزولة والموحشة " بلونها الآجري مثل قصر صحراوي متوغل في الرمال والخوف. أقرب إلى البدائية منه إلى الحضارة كأنها نزلت هكذا. منذ بدء الخليقة على هذه الأرض الفارغة التي تشبه صمت الربع الخالي"14، قلعة غرقت في تيه الرمال لتكون ملجأ الأرابيين الجياع / العراة الذين طحنهم الجوع والجفاف والفتن. وتفوح منهم رائحة الفتنة المتعفنة، شعب آرابي آيل للزوال والانقراض شأنه شأن الهنود الحمر. ذلك أنهم "أصبحوا داخل تيه شديد القسوة. خسروا كل شيء حتى النظام الأدبي الذي كونوه على مدى قرون، يفتقرون لهدوء وسكينة، لم يعودوا سادة مصائرهم، كل شيء يتمزق حول السد وفي الخلاء (...) تفكك أرابيا دمر كل التوازن المجتمعي في المنطقة".15

كل بلدان أرابيا تمزقت واندثرت بسبب الحروب الطائفية والنزاعات العرقية التي طغت على حضارتها ودينها وثقافتها فأبادتها،".. كيف يمكن لشعوب منحت البشرية العلم والخير والسعادة أن تتحول إلى كائنات لشعوب غير مرغوب فيها، شعوب على حافة الانقراض".16

تتحول الرواية -عبر الحديث عن العالم النووي آدم- إلى خطاب إشكالي مسكون بالتساؤلات المنطقية عن هذه المفارقة العجيبة والانفصام الغريب الذي يعيشه العرب، فبعد أن صنعوا مجدا وحضارة إسلامية ورقيا عظيما، ضيعوه بسبب النزاع والتناحر لأجل المال والمناصب ولهذا تتنبأ الرواية لمآل عرب ما بعد المال والنفط، عرب النزاعات الطائفية والصراعات العرقية والفتاوى الدينية، وعرب ما بعد الربيع العربي. فالرواية؛ إذن تتحدث عن شعوب ضيعت ذاتها وفقدت هوياتها بسبب منطق البلادة أولا، والتناحر والعصبية القبلية ثانيا. ناسية أو متناسية أن "الهوية ليست اختيارا فرديا يتخذه المرء لنفسه ويتسمى به، وإنما هي لبوس ثقافي يزود الشخصية بتعريف موصوف".17 تتشارك فيه الأفراد مجتمعة ومحافظة على ثقافتها، غير

أن العربي ضيعها في أول اختبار له مع ذاته ومع الآخر. ضاربا عرض الحائط تلك الحضارات والثقافات والعلوم التي تركها الأولون واستبدلها بقطرات ماء تضمن له الحياة ولو إلى حين.

وهنا تبرز هذه العلاقة المشروخة بين الذات العربية والآخر، بين طرف يملك السلطة وطرف يعيش تحت وطأتها، فإذا كان "وجودي بالنسبة لي هو تشكل الذات في رأي الآخر الذي يجسدها"18. وإذا كنت أبحث عن وجودي في ذلك الآخر، فكيف هي صورة عربي 2084 في عيون الآخر، الغربي والآزاري (إسرائيل) في ظل انعدام تكافؤ القوى و الجوع والتقتيل وعدم الاستقرار. يقول الكولونيل صامويل لوكوك لـ "إيفا" واصفا حال الآرابيين:

"مساكين حقيقة تأكلهم الصحاري والبرد والمجاعات، انظري عظامهم تكاد تنكسر وتخرج من تحت الجلد من شدة الجوع والتعب والخوف، تكاد خرقهم التي تمزقت على جلودهم أن تنتفي نهائيا وتكشف عن بقايا أجسامهم المتهالكة، يتقاتلون على لا شيء، ولكني مستغرب كيف لا يأكلون بعضهم البعض، ويفضلون الموت والتحول إلى غبار على المقابر.. مع ذلك الجائع لا يؤتمن.19

يطالعنا خطاب الرواية ليرسم لنا ملامح أزمة التلاشي التي تجاوزت الأقليات العرقية لتقضي على سلالة العرب، في إحالة إلى تنامي التناحرات والصراعات الطائفية التي ولدت مجتمعات متشظية لا توافق بينها .فبعد ضياع هوية الطارقي/ الصحرواي، وبعد أزمة الأقليات، يناضل العربي من أجل بقائه وهويته ووجوده.

هكذا إذن يؤسس نص "العربي الأخير" أفقا تأويليا للفهم يتخطى حدود العقل والتاريخ والمنطق والمكان ليغوص بشطحاته عوالم التخييل، ويكشف عن خرائط مجهولة لا تبيح عنها إلا اللغة ولا ترسمها إلا مخيلة المبدع.

في مقابل هذا يؤسس النص لمعرفة الذات العربية والهوية الإنسانية والكينونة، كما تسهم في حفظ الذاكرة الاجتماعية من النسيان والتلاشي وتؤسس لمعرفة وجودية من شأنها خلق مصالحة مع الذات ومع الآخر، لتحقق بذلك حاجة أنطولوجية وفعلا إبستمولوجيا إذا "الرواية التي لا تكشف جزاء من الوجود لا يزال مجهولا هي رواية لا أخلاقية، إن المعرفة هي أخلاقية الرواية الوحيدة".20

هكذا تلقي رواية "العربي الأخير" بضلالها على مسألة الكون والوجود والهوية العربية المفقودة بسبب الفساد في أيام عزها وثروتها النفطية. وبسبب الصراعات القبلية والطائفية والدينية، بعدما جف الماء وجف النفط؛ حينها فقط سارع العربي بحنين وشوق إلى أيام البدائية والرجعية والنظام القبلي. وكذا الانضمام لجماعات الموت.

الرواية، رواية استشرافية، تنبؤية لمآلات العرب بعد غرقهم في تيه الحروب والصراعات في زمن الموت والكراهية والعنصرية التي تهدد بالزوال والاندثار وتلاشي التاريخ والهوية." عندما قام العرب بثورتهم كبقية الشعوب قتلوا أنفسهم أولا، ثم أكلوا رؤوس بلدانهم وبعدها خلقوا فراغا ظنوه الديمقراطية، ويوم استيقظوا وجدوا أنفسهم مجموعات يقتلها العطش والصحاري والثعابين. كالعمران الذي شيد على الرمال،

وفي ثانية واحدة انهار كل شيء في المرة الماضية عندما أرادت أن تغلق حنفيات الماء على بقايا الآرابيين، فعلت، فمات الآلاف عطشا بفقدان الماء والرفس والتدافع. ماذا بقي اليوم من عمران الأوهام القديمة؟" لا شيء"21. لا شيء سوى صرخات رجل عربي نازف ينتظر موته القادم... وصرخات رواية تنبؤية تحاول أن تخوض معركتها المعرفية في إيقاظ الهمم ورفع راية الخطر؛ لتؤكد أن السرد حاجة أنطولوجية؛ إذ من شأنه أن ينبه للإشكالات الحاسمة في الوجود الإنساني؛ "إن أي تمثيل سردي للأحداث الإنسانية هو مشروع فلسفي عميق بل يمكن القول إنه مشروع أنثروبولوجي أصيل، ولا يهم، حقيقية أو متخيلة المهم هل يمكن اعتبارها أحداثا إنسانية نموذجية".22

ثالثا: كتابة الذات موتا

في مقابل هذا، تطالعنا رواية "سيرة المنتهى " لواسيني الأعرج، وهي رواية تتموقع ضمن التخييل الذاتي حيث جعل من الشخوص في حياته والشخصيات الأدبية والصوفية في عالمه، وسائط للكشف عن ذاته ذلك أنها أسهمت في تشكيلها بشكل أو بآخر. ولم يكتف بأفراد عائلته وبمن أحب والذين ارتبطوا بحياته الواقعية بل استعان بشخصيات التقاها من خلال كتب قرأها وتأثر بها، فكونت جوانبه اللغوية والثقافية والإنسانية وفتحت مدارات التخيل عنده. وهي الشخصيات التي منحت رحلته طابعا تخيليا لا واقعيا، مثل الشيخ الأكبر ابن عربي، وسرفانتس*، ليلتبس الواقع مع المتخيل وينفتح النص على أسئلة لا نهائية حول شخصية واسيني حياته، واقعه وحتى تخيلاته، وتنفتح معه تأويلاتنا حول طبيعة هذه السيرة الروائية التي تأخذ من الواقع بالقدر الذي تغرق فيه في التخييل. وتعيش عالم والموت بالقدر الذي تؤسس فيه للحياة.

يكتب واسيني سيرته ورحلته نحو عالم الموت، وعالم الفناء والتلاشي التي يقف من خلالها عند مقام البوح والاعتراف حيث يتيح للذات إدراك حضورها وتواجدها "في مواجهة الوعي الماضي بكل ما يختزنه من مواقف وأحداث. أو لنسمّها حالة من الوعي بالوعي، تقدم فيها الذات تأكيدا على قدرة إدراكها على استعادة التوازن اتجاه قضايا الماضي وأحداثه ووقائعه التي درجت فيها ومعها وأثناءها تلك الذات(...) بل يمتد ليطال الحاضر مؤكدا قدرة الذات على المساءلة المستمرة لكل شيء وبالتالي حضورها الفاعل الذي يضع العالم دائما موضع المساءلة والتأمل الدقيق".23

وإذا كان الموت يعني التلاشي والزوال والإمّحاء النهائي، فإن الكتابة على النقيض تؤسس للكينونة. ذلك أنها تعبير وجودي عن وجود الذات الإنسانية المناهضة للنسيان، فهي تأسيس للذاكرة الحية والديمومة إن لم نقل الأبدية. إذ يموت صاحبها ولا تموت "فالكتابة والموت ترتبطان ارتباطا ضدّيا على أساس أن المكتوب قادر على مقاومة الزمن وعبور الحقب والعصر وإدراك نوع من الخلود وبالتالي قادر على مقاومة الزمن. وعبور الحقب والعصور وإدراك نوع من الخلود وبالتالي مقاومة الموت".24

وهذا ما قام به واسيني من خلال سيرته الذاتية التي تحفر عميقا في الذات وتخوض في الماضي الدفين، لتعبث بكل شخوصه ولحظاته وأمواته لا لتبكيه وتتحسر عليه إنما لتعيشه على نحو آخر. لتحيا موتها فتصيّره حياة ثانية من خلال فعل الكتابة، فتغدو الكتابة عن الموت سردا للذات وتفعيلا للحياة، وكأن

واسيني يردد قول الجد الروخو الذي كان يرفض أن يخير بين الموت والحياة: "واحد مثلي في قمة هبلة بالحياة، يجب أن يخير بين الحياة والحياة فأنا لا أعرف الموت لأختاره لكني أعرف شيئا عن الحياة"25

فالكتابة السيرية التخييلية عند الأعرج لم تكن إلا توقيعا آخر للحضور والتواجد التي تغرسها الذات وتحاول فرضها بشتى الطرق، كما تحاول الاندماج من خلال كل الشخوص التي أسهمت في تكوين الذات الواسينية بما هي دعائم ووسائط أثرت تجربته الكتابية وصنعت هويته وكيانه. ما جعل واسيني يوقف عجلة الزمن قليلا ربما ردا للجميل لكل تلك الذوات الغائبة فيزيقيا الحاضرة كتابيا ثم من أجل أن يكتب ذاته خوفا عليها من التلاشي والزوال.

هكذا إذن، يرفض واسيني الموت ويقاومه ويزعزعه من خلال سيرة تكتب على نحو مختلف ما بين الموت والحياة، ليحيا موته عبر كل محطاته ورحلاته المعراجية المثقلة بالغرابة والتيه والفراغ، هكذا إذن تكون سيرة المنتهى " تفعيلا" حيويا للموت عبر الكتابة عنه.

ف" يبدو فعل الكتابة أشد التصاقا بقضية الدفاع عن الذات في مواجهة الزوال والتلاشي. ولهذا السبب نزعم أننا نلحظ في هذا الحقل الأدبي أبلغ حالات الدوران في دائرة الأنا وجعل الذات موضوعا للشكل السردي. وما هذا إلا ليعيش الإنسان المبدع مرتين!! بل مرات عديدة".26

فواسيني كتب عن جده الروخو، عن جدته "حنا"، عن والده ووالدته وحبيبته الأولى عن أخيه عزيز وأخته زوليخا وعن كل أفراد عائلته لا ليؤرخ لمحطاته معهم؛ بل ليكتب ذاته وسيرته ويحقق كيانه وهويته من خلالهم "لم أكن استثناء عظيما في هذه الدنيا، ولم أكن إلها صغيرا. لكني لم أمر على هذه الحياة كغيمة جافة".27

وعلى الرغم من أن السيرة تبين مساحة الحرية التي تمتع بها واسيني في طفولته ولازمته في كتاباته حد الشقاوة والعبث إلا أن هذه الشخصيات التي مرت في حياته كانت فاعلة وفعالة فلم يعش حياته كما اشتهاها بألقها، هبلها وعبثها، بل عاشها كما اشتهته هي بسطوتها ورعونتها وحزنها وفرحها أيضا. واسيني الذي أراد كتابة سيرة ذاتية تحفر في عمق الذات يكتشف أن الكتابة هي من تكتبه حرفا وكلِمًا وأن السرد هو من يحققه وجودا وفعلا.

الخاتمة:

هكذا إذن، وعبر خطابات عربية مختلفة ،تتكشف الكتابة بما هي حاجة أنطولوجية وتعبير عن كينونة الكائن وبقائه في الذاكرة لتؤسس الأبدية والخلود .

فمن الموت/الفقد/الهجر/اللانتماء/اللاهوية .. تصنع الحياة، وعبر السرد تحتفي الذات بموتها ووجعها لا لتؤرخه ،وإنما لتتجاوزه ولتسمع صوته للآخر، و لتتحول الكتابة السردية إلى مقام للبوح والاعتراف لا تروم شيئا آخر غير التواصل مع الخلود والأبدية عبر الكتابة والسرد. ولتحقق رغم صراعاتها وتأزمها براديغم "أنا أسرد إذن أنا موجود".

قائمة المصادر :

- إبراهيم الكوني :أهل السرى، دار سؤال، ط1، 2016 .
- إ براهيم الكوني :من أنت أيها الملاك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2009 .
- واسيني الأعرج : أصابع لوليتا، : دار الصدى، دبي، ط1، 2012.
- واسيني الأعرج: 2084العربي الأخير، : موفم للنشر، الجزائر، ط1 ،2015.

قائمة المراجع :

- أحمد فرشوخ: تأويل النص الروائي، السرد بين الثقافة والنسق، مطبعة النجاح ،الدار البيضاء، ط1، 2006
- أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة، أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1996 .
- تشارلز تايلور: منابع الذات، تكون الهوية الحديثة، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية.
- عبد الله إبراهيم: التخيل التاريخي، السرد، الإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2011.
- عمر محمد منيب أدلبي: سرد الذات فعل الكتابة وسؤال الوجود، الوجود دراسة في فن السيرة الذاتية، إصدارات دائرة الثقافة والاعلام، حكومة الشارقة، 2008.
- غسان غنيم : رواية من أنت أيها الملاك وقضية اندثار شعب، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29،العدد 1+2 ، 2013 .
- كولن والسون : اللامنتمي، دار الآداب للنشر ،بيروت ،ط5، 2004 .
- ماري مادلين داقي : معرفة الذات، ترجمة :نسيم صقر، منشورات عويدات ،بيروت ،ط1، 1974 .
- الناصر عمارة: اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الاسلامي، منشورات الاختلاف، دار الفارابي العربية للعلوم الجزائر. بيروت، ط 1، 2007 واسيني الأعرج: سيرة المنتهى، عشتها كما اشتهتني: "، رواية سيرية، منشورات بغدادي، الجزائر، ط1، 2014.
- الناصر عمارة: الهرمينوطيقا والحجاج. مقاربة لتأويلية بول ريكور، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان ،لبنان، الجزائر، المغرب ،ط1 ،2014.

الإح الا ت:

1- أحمد فرشوخ : تأويل النص الروائي، السرد بين الثقافة والنسق، مطبعة النجاح ،الدار البيضاء، ط1، 2006 ، ص92.

2- أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية(التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية ، ترجمة، أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1996 ،ص63.

3- واسيني الأعرج : أصابع لوليتا، : دار الصدى، دبي، ط1، 2012، ص52.

4- ماري مادلين داقي :معرفة الذات ،ترجمة :نسيم صقر، منشورات عويدات ،بيروت ،ط1، 1974 ،ص19.

5- قدم إبراهيم الكوني هذه الرواية التي تمثل رحلة البحث عن هوية الرجل الصحراوي ومعاناة الأقليات .لتشكل الصحراء الفردوس المفقود في نظر الكوني ،وتشغل القضية مساحات مختلفة من نصوصه السردية.

6- تشارلز تايلور: منابع الذات ، تكون الهوية الحديثة، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص20.

7- إبراهيم الكوني: من أنت أيها الملاك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، 2009 ، ص11.

8- إبراهيم الكوني: أهل السرى، دار سؤال ، ط1، 2016 ، ص147.

9- كولن والسون : اللامنتمي ، دار الآداب للنشر ،بيروت ،ط5 ، 2004، ص7.

10غسان غنيم: رواية من أنت أيها الملاك وقضية اندثار شعب، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29،العدد 1+2 ، 2013 ، ص367.

11 عمر محمد منيب أدلبي: سرد الذات فعل الكتابة وسؤال الوجود ، الوجود دراسة في فن السيرة الذاتية، إصدارات دائرة الثقافة والاعلام، حكومة الشارقة، 2008.ص 64.

12 الناصر عمارة: الهرمينوطيقا والحجاج، مقاربة لتأويلية بول ريكور، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف ،دار الأمان، لبنان، الجزائر، المغرب ،ط1 ،2014.ص42.

13- واسيني الأعرج: 2084العربي الأخير ، : موفم للنشر، الجزائر، ط1 ،2015، ص 14.

14- المصدر نفسه، ص 49.

15- المصدر نفسه ، ص 232.

16- واسيني الأعرج: 2084 العربي الأخير ،ص 361.

17- عبد الله إبراهيم: التخيل التاريخي، السرد، الامبراطورية، والتجربة الاستعمارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2011. ص 293.

18- الناصر عمارة: اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الاسلامي, منشورات الاختلاف, دار الفارابي العربية للعلوم الجزائر. بيروت، ط 1، 2007، ص 60.

19- واسيني الأعرج: 2084 العربي الأخير، ص 70.

20- محمد بوعزة: هرمينوطيقا المحكي (النسق والكاوس في الرواية العربية, ص45 نقلا عن: ميلان كونديرا: فن الرواية, ترجمة بدر الدين عروكي, مجلة العرب والفكر العالمي, العدد 15-16, 1991, ص08.

21- واسيني الأعرج، 2084 العربي الأخير، ص 343.

22- محمد بوعزة: هرمينوطيقا المحكي, ص 45.

* - ميغيل دي سيرفنيتس: كاتب اسباني (1547-1616) عرف برائعته دون كيشوت. وهي رواية تدور حول صاحب أرض ريفي في أوسط العمر، يتخيل نفسه فارسا مدرّعا يخرج إلى العالم ليناهض فيه الظلم والشر. كتب عملا أدبيا نثريا مطولا بعنوان الغلاتيا عام 1585، وكتب عديد المسرحيات. ذاع صيته في أعقاب نشره الجزء الأول من دون كيشوت عام 1605.

23- عمر محمد منيب إدلبي: سرد الذات (فعل الكتابة وسؤال الوجود), ص 66، نقلا عن شوكت نبيل المصري, دهشة الجسد وهوامش التكوين (قراءة نقدية في سيرة عفيفي مطر الذاتية)، موقع جسد الثقافة الإلكتروني.

24- عمر محمد إدلبي: سرد الذات، ص 69.

25- واسيني الأعرج: سيرة المنتهى, عشتها كما اشتهتني: "، رواية سيرية، منشورات بغدادي، الجزائر، ط1، 2014. ص 65.

26- عمر محمد إدلبي: سرد الذات، ص 70.

27- واسيني الأعرج: سيرة المنتهى, ص 29.